

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٤/١٧

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ.﴾ (يونس: ١٧-١٨)

كنتُ أتناول جوانب متعددة من سيرة النبي ﷺ، وسأتحدث اليوم عن حُلق الصدق والأمانة والاستقامة للنبي ﷺ. فمن خلال وقائع سيرته الشريفة، نجد أسمى الأمثلة على صدقه، حتى إن عدوه لم يجد بدا من الاعتراف بأعلى معايير صدقه واستقامته. وهذا المعيار الرفيع من الصدق هو ما بيّنه الله تعالى في القرآن الكريم في الآية التي تلوث، حيث أمر النبي ﷺ أن يقول للناس: إنني لم أكذب قط في أي حال من الأحوال، ولم أتخلَّ عن الصدق قيد أنملة، وأنتم على ذلك شهود، فهل يُعقل إذن أن أكذب على الله بأبني جنت بدين ليس من عنده؟ هذا مستحيل كل الاستحالة. وفي الوقت ذاته، وصّى النبي ﷺ أتباعه قائلاً: إنكم إذ دخلتم في طاعتي وبايعتموني على الطاعة، فأقيموا أعلى معايير الصدق. لذا، يجب علينا جميعاً أن نحاسب أنفسنا في هذا الشأن، إذ إن هذه المعايير الرفيعة من الصدق هي ضمان النجاح في كل لحظة من لحظات حياتنا، وهي التي تفتح لنا أبواب التبليغ والدعوة.

كتب حضرة المصلح الموعود ﷺ في موضع ما، وقال في إحدى خطبه متحدثاً عن حياة رسول الله ﷺ الطاهرة: إننا نرى أن أعداء النبي ﷺ قد أقروا بأنه كان صادقاً أميناً، ولم يوجهوا إليه أي اتهام، بل إن أشد أعدائه شهد له بالطهارة والنقاء. فقد عقد أهل مكة اجتماعاً لبيحثوا عما يُجيبون به القادمين من الخارج حين يسألون عن محمد ﷺ، وقرروا اتفاق كلمتهم لئلا تتضارب أقوالهم، قائلين: إننا نحسر سمعتنا أصلاً حين يقول أحدنا شيئاً ويقول الآخر خلافه، فلنتفق على جواب واحد نقوله لمن يأتيون للحج. فاقترح أحدهم أن يقولوا: إن محمداً معتاد على الكذب، وكل ما يقوله كذب. فقام رجل يدعى نضر بن الحارث وقال: لا ينبغي لنا أن نقول ذلك، فإن قلمتموه لم يصدقكم أحد، وسيرد عليكم الناس قائلين: إن محمداً

ﷺ قضى شبابه بين ظهرانيتكم، وكان يُعدّ في ذلك الوقت أبرّكم عملاً وأصدقكم قولاً وأوفاكم أمانةً، حتى إذا شاب واعتري صدغيه الشيب وجاءكم بتلك التعاليم -يعني تعاليم الإسلام- قلتم: إنه كاذب؟ والله لا يمكن أن يكون كاذبًا في هذه الأحوال. فاعترف الجميع بخطأ رأيهم، وأخذوا يفكرون في حجة أخرى. وما أصدق الكلمة التي أبدأها ذلك الرجل! لو كانوا قد نسبوا إلى النبي ﷺ الكذب من قبل لأمكن أن يُصدّق قولهم، ولكن ما داموا يشهدون له بالصدق طول حياتهم، فمن ذا الذي يصدّق اتّهامه فجأة بالكذب؟

كذلك، حين سأل هرقل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ: هل سبق له أن كذب؟ أجاب أبو سفيان: لا، إلى الآن. وأضاف: وإنما قلت "إلى الآن" لأوهم أنه ربما يكذب في المستقبل.

وفي مناسبة أخرى، صعد رسول الله ﷺ على جبل ونادى الناس -وقد ذكرت هذه الواقعة في الماضي أيضًا، وهي هنا في سياق الصدق- فلما اجتمعوا قال لهم: رأيتم لو أخبرتكم أن في الوادي الفلاني جيشًا يعتزم مهاجمتكم، أتصدقونني؟ قالوا: نعم نصدقك، وإن كان مستحيلًا في الواقع أن يتجمع ذلك الجيش القريب دون أن يعلم به أهل مكة. فاستعدادهم لتصديق ما يبدو مستحيلًا إذا جاء من فمه ﷺ، يدل دلالة قاطعة على أنهم كانوا يوقنون بصدقه يقينًا جازمًا، ويرونه من المستحيلات أن يكذب أو يخدع.

ويُتابع ﷺ فيقول: ما الذي كان يؤثر في معارضي النبي ﷺ؟ لم يتأثروا بالقرآن الكريم ابتداءً، إذ لم تكن تعاليمه هي ما جذبهم إلى الدخول في بيعته، بل كانت حياته ﷺ الأولى التي عاشها بينهم؛ كانت أمانته وعطفه على الخلق وإيثاره هي التي تؤثر فيهم. وقبل البعثة لم يكن ينهاتهم عن الشرك لعدم صدور الأمر الإلهي بذلك، لكنه ﷺ نفسه كان بعيدًا عن الشرك كل البعد. فكان حسن سيرته وحده المؤثر فيهم، وكان ذلك الأثر يسري في نفوسهم خفيةً. فحالة تقواه وصلاحه وأسوته الحسنة هي التي كانت تؤثر في الناس حتى أنهم كانوا لا يستطيعون رفع بصرهم إزاء ذلك.

وكما مرّ في الواقعة التي أوردتها، حين صعد الجبل وسأل القوم: أتصدقونني لو أخبرتكم أن هناك جيشًا كاملاً؟ وإن كان ذلك مستحيلًا في الواقع، إلا أنهم قالوا: نعم نصدقك. وذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه لم يقل زورا قط، وأكدوا: ما رأيك تكذب قط، وكنت أمينًا صادقًا دائمًا، فلذا سنصدق هذا القول أيضًا. عندها قال ﷺ لهم: حسنًا، ما دام الأمر كذلك، فسأخبركم بشيء حق آخر، وهو أن الله واحد لا شريك له، والشرك منكر، فاعبدوا إلهًا واحدًا واتركوا الشرك وإلا حلّ بكم العذاب. غير أن هذا القول لم يؤثر فيهم؛ فما كان مؤثرًا فيهم هو حياته ﷺ وعمله وصدقه وأمانته وبرّه، أما هذه الدعوى التي قدمها بين أيديهم فلم تؤثر فيهم، فرفضوه. لذا فالهمم أنه يجب أن يكون للإنسان أسوة وعمل يؤثر في الناس، فإذا تحقق ذلك هيأ الله تعالى في وقت ما أسبابًا تفتح بها أبواب الدعوة، ويُقبل أولئك المعارضون أنفسهم على الإسلام ويعرفون الإسلام الحقيقي.

قال المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أيد الله تعالى سيدنا ومولانا نبي آخر الزمان وسيد المنتقين بأنواع التأييدات والانتصارات، وإن كان قد اضطر للهجرة في بداية عهده كموسى وعيسى عليهما السلام، ولكن تلك الهجرة نفسها كانت تكتنف إرهابات الفتح والنصرة أيضاً. فبناء على ذلك يا أيها الأصدقاء! اعلّموا يقيناً أن المتقي لا يدمر أبداً. إذا تعادى الفريقان وبلغا خصومتها الذروة نزلت النصر من السماء لمن يكون تقياً وورعاً في نظر الله تعالى. وهكذا يُفصل في الخصومات الدينية بالقرار السماوي. انظروا كيف ظهر سيدنا ومولانا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله في مكة في حالة الضعف الشديد وكم كان أبو جهل وغيره من الكفار يتمتعون بالازدهار في تلك الأيام ذائعي الصيت. وكان مئات الآلاف من الناس قد أصبحوا أعداءً ألداءً للنبي صلى الله عليه وآله، فما الذي منح نبينا صلى الله عليه وآله الفتح والظفر في نهاية المطاف؟ فاعلموا يقيناً أنه كان الاستقامة وطهارة الباطن والصدق، فبهذه الأمور تحققت تلك الانتصارات والنجاحات".

ثم يقول عليه السلام: "إن الله عز وجل يخاطب نبينا صلى الله عليه وآله قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فوفقاً لهذا التفسير، يكون معناه أن جميع أنواع الأخلاق مثل السخاء، والشجاعة، والعدل، والرحمة، والإحسان، والصدق، ورحابة الصدر، وغيرها مجتمعةً فيك.

باختصار، كل القوى التي توجد في الإنسان، كالأدب، والحياء، والأمانة، والمروءة، والغيرة، والاستقامة، والعفة، والزهد، والاعتدال، والمؤاساة وكذلك الشجاعة، والسخاء، والعفو، والصبر، والإحسان، والصدق، والوفاء، وغيرها. فإذا أظهرت كل هذه الأمور الطبيعية في مواضعها وأوقاتها المناسبة في ضوء العقل والتدبر، فسُتسمى أخلاقاً."

إذن، ليس المراد من الأخلاق أن يعامل الإنسان أحداً بلطف أو يسلم عليه فقط، بل وفقاً لأسوة رسول الله صلى الله عليه وآله فإن كل الحسنات، وكل المعاملات مع الناس، وإظهار هذه الصفات فيها هي الأخلاق السامية التي ينبغي الاهتمام بها والتوجه إليها.

لقد بُعث النبي صلى الله عليه وآله لينشر الصدق في العالم، ولذلك أوصى المؤمنين به أيضاً في مناسبات مختلفة أن يلتزموا بالصدق دائماً. فقد جاء في رواية:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا".

وعندما يُكتب المرء كذاباً فهو يتوجه إلى النار. فهذا الموقف يقتضي خوفاً كبيراً.

هناك رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود يوصلها إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: "الْكَذِبُ لَا يَصْلُحُ بِالْجِدِّ وَلَا بِالْهَزْلِ". (يقول بعض الناس: لقد كذبت على سبيل المزاح، وليعلموا أن هذا النوع من المزاح أيضاً لا يجوز.)

وَلَا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيَّهُ ثُمَّ لَا يَفِي لَهُ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ صَدَقَ وَبَرَّ وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ كَذَبَ وَفَجَرَ".
(سنن ابن ماجه)

يقول العلامة الرازي في تفسير الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).
رُوي أن واحدا جاء إلى النبي ﷺ وقال: إني رجل أريد أن أتخلص من السيئات إلا أنني أحب الخمر والزنا والسرقة والكذب جدا (أي إني واقع في هذه المساوي بكثرة)، والناس يقولون إنك تحرم هذه الأشياء (أي إني قد آمنتُ أو أريد أن أو من بك، ولكنك تحرم هذه الأشياء!) ولا طاقة لي على تركها بأسرها، فإن قنعت مني بترك واحد منها آمنتُ بك. فقال: حسنا، اترك الكذب. فقَبِلَ ذلك ثم أسلم. فلما خرج من عند النبي ﷺ عُرِضَ عليه الخمر، فقال: إن شربتُ وسألني رسول الله ﷺ عن شربها وكذبتُ فقد نقضتُ العهد، وإن صدقتُ أقام الحدَّ عليّ، فتركها. ثم عُرِضَ عليه الزنا، فجاء ذلك الخاطر فتركه، وكذا في السرقة. فعاد إلى رسول الله ﷺ، وقال: ما أحسنَ ما فعلت. لما منعتني من الكذب انسدتْ أبواب سائر المعاصي عليّ، وهكذا تاب عن الكل.

لقد ورد عن إسلام أبي بكر ﷺ رواية عن المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها:

كان أبو بكر خِدْنًا^١ للنبي ﷺ وصفيًا له، فلما بُعث ﷺ انطلق رجال من قريش إلى أبي بكر فقالوا يا أبا بكر إن صاحبك هذا قد جُنَّ، قال أبو بكر؟ وما شأنه؟ قالوا: هو ذاك يدعو في المسجد إلى توحيد إله واحد ويزعم أنه نبي. فقال أبو بكر: وقال ذاك؟ قالوا: نعم هو ذاك في المسجد يقول. فأقبل أبو بكر إلى النبي ﷺ فطرق عليه الباب فاستخرجه فلما ظهر له قال له أبو بكر: يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك؟ قال وما بلغك عني يا أبا بكر؟ قال: بلغني أنك تدعو لتوحيد الله وزعمت أنك رسول الله! فقال النبي ﷺ نعم يا أبا بكر إن ربي ﷻ جعلني بشيرا، ونذيرا وجعلني دعوة إبراهيم، وأرسلني إلى الناس جميعا. قال له أبو بكر والله ما جرّبتُ عليك كذبا، وإنك لخليقٌ بالرسالة لعِظَمَ أمانتِكَ وصلتِكَ لِرِجْمِكَ وحسنِ فعالِكَ، مُدَّ يدُكَ فأنا أبايعك. فمدَّ رسول الله ﷺ يده، فبايعه أبو بكر وصدّقه وأقرَّ أن ما جاء به الحق. فوالله ما تلعثم أبو بكر حين دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام.

يقول المسيح الموعود ﷺ بهذا الشأن:

"كان سيدنا أبو بكر ﷺ في الشام في رحلة تجارية عند إعلان النبي ﷺ النبوة، وبينما هو عائد من سفرته هذه لقيه في الطريق رجل، فسأله أبو بكر عن أحوال مكة قائلا: هل عندك من جديد؟ فإن من العادة أن المرء إذا كان عائدا من سفر ولقيه في الطريق بعض أهل وطنه فإنه يسأله عن أخبار الوطن. فقال

الرجل: نعم، الجديد أن صاحبك محمداً قد ادعى النبوة. فلم يلبث أبو بكر رضي الله عنه أن قال إذا كان قد ادعى فهو صادق بلا شك.

إن هذه الواقعة وحدها تكشف لنا مدى حسن ظن أبي بكر رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث لم ير حاجة إلى رؤية معجزة منه صلى الله عليه وسلم. هذا يوحي كم كان أبو بكر رضي الله عنه يحسن الظن بالنبي صلى الله عليه وسلم. فلم ير حاجة إلى رؤية معجزة. والحق أن المعجزة إنما يطالب بها من لا علم له بأحوال المدعي، ويكون غريباً عنه، ويطالبها لمزيد الاطمئنان. أما الذي لا يريد الإنكار فأبي حاجة به إلى المعجزة؟ المهم، لقد آمن أبو بكر رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى مكة بمجرد أن سمع عن دعواه، ولما وصل إلى مكة أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له هل ادعيت النبوة؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم، هذا صحيح. فقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه فاشهدني أول المؤمنين بك".

وقد ذكر حضرته هذا الأمر في مكان آخر كالآتي: "إن فهم هذا الأمر لسعادة. من لا يؤمن في أول الأمر فلا فضل فيه ولا ميزة. (أي أن الذي يبايع عند سماع الدعوة أول مرة فله الفضل، وهو ذو فطرة طيبة في الحقيقة، أما الذي يقدم الحجج والمعاذير في البداية فلا فضل له ولا ميزة) أما حين يفتح الله ويكشف كل شيء فإن الحجارة والأشجار أيضاً تتكلم عندها (أي إذا آمن المرء حين يتضح كل شيء وتظهر الآيات فعندها كل شيء يصدق ويؤمن). وإن أكثر الناس قدراً من يؤمن في أول الأمر، كما آمن أبو بكر رضي الله عنه؛ فإنه لم يطلب معجزة، وقد آمن قبل أن يسمع الدعوى من فم النبي صلى الله عليه وسلم. (أي قد آمن به قبل أن يسمع دعواه من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة) ورد أن أبا بكر رضي الله عنه كان في الخارج للتجارة (لقد بين عليه السلام هذه الواقعة كلها وقال)، فلقبه شخص في الطريق وهو عائد، فسأله هل من خبر جديد. قال: إن صديقك قد ادعى النبوة. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إن كان قد ادعى النبوة فهو صادق. (يقول عليه السلام): فكروا الآن، إن أبا بكر رضي الله عنه لم يطلب آية أو معجزة عندها، بل آمن فور سماعه هذا الخبر، ولم يسمع الدعوى من فم النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، بل سمعها من لسان شخص آخر، فصدقها على الفور. فما أعظم هذا الإيمان! سمع أمراً منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يظن أنه قد يكون فيه احتمال الكذب. (بمجرد أن سمع أنه صلى الله عليه وسلم قد ادعى النبوة آمن به لأنه كان يعلم أن من المستحيل أن يكذب) انظروا! لم يطلب أبو بكر رضي الله عنه آية، ولذلك سمي صديقاً، أي الممتلي صدقاً. فبمجرد النظر إلى وجهه عرف أنه ليس كاذباً. فمعرفة الصادقين وقبولهم ليس أمراً صعباً، لأن علاماتهم ظاهرة بيّنة".

وقال حضرة الخليفة الأول رضي الله عنه بهذا الصدد: إني لا أستطيع أن أغض الطرف عن شهادة خديجة رضي الله عنها التي أدلت بها في بداية دعوى النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة. لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم النداء الإلهي ورأى أن العالم كله سيعارض هذه الدعوة، قال: يا خديجة، لقد أصبحت أخاف على نفسي، فقالت له: أبشّر، فوالله لا يُجزيك الله أبداً (أي قالت خديجة رضي الله عنها فليقل الناس ما بدا لهم، أما أنت فعليك أن تفرح. إذا كان الأمر كما تقول فإن الله لن يخريك وبذلك أبداً)، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلِّ،

(أي تحمل أعباء ذوي المعاناة) وتُكسب المعدوم المفلس، وتقري الضيف، وتعين على نواب الحق، أي على أمور الخير من حين لآخر.

ثم يقول حضرة الخليفة الأول ﷺ: فكروا! بماذا تشهد هذه المرأة في الخامسة والخمسين من عمرها، والتي هي من بلده ومن قومه، والتي هي زوجته منذ خمس عشرة سنة؟ إن شهادة خديجة هذه في وقت كان ﷺ فيه حزينًا ومضطربًا لجديرة بالتأمل. لو لم يكن النبي ﷺ متصفا بهذه الصفات لما كان كلامها مدعاةً لاطمئنانه في ذلك الوقت أبداً.

لما أوشكت السنة الثالثة من حصار شعب أبي طالب على الانتهاء، أخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب بناءً على وحي الله تعالى أن صحيفة المعاهدة التي علّقوها في جوف الكعبة بشأن مقاطعة بني هاشم، قد أكلت دودة الأرض كل كلماتها إلا اسم الله تعالى. وكان أبو طالب موقنًا تمامًا بصدق ما قاله النبي ﷺ، فذكر هذا الأمر لإخوته أولاً وقال والله إن محمداً ﷺ لم يكذبني قط، ثم ذهب معهم إلى زعماء قريش وقال لهم: هذا ما أخبرني به ابن أخي، وإنه لم يكذبني قط. لقد أخبرني أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة، فأكلت كل ما ورد فيها إلا اسم الله تعالى. فإن كان ابن أخي صادقاً فعليكم إلغاء معاهدة المقاطعة هذه، وإن كان كاذباً فأسلمه إليكم لتفعلوا به ما شئتم، اقتلوه قتلاً، أو اتركوه حيًّا. فقالوا: نعم، هذا هو العدل والإنصاف. فلما رأوا صحيفة المعاهدة وجدوها تماماً كما أخبر رسول الله ﷺ. فندمت قريش أمام قومهم.

وذات مرة أرسلت قريش زعيمها عتبة ممثلاً لها إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، لماذا تسيء إلى آلهتنا وتسفّه آباءنا؟ أخبرنا بما تريد نعطك إياه وامتنع من هذه الأمور. فظل النبي ﷺ يسمع كلامه بهدوء وصمت، فلما انتهى من كلامه قرأ النبي ﷺ آيات من سورة حم فصّلّت، حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾. فقال له عتبة: حسّبك، حسّبك. ثم رجع إلى أصحابه، وقال لقريش: إني أعلم أن محمداً ﷺ إذا قال قولاً فلا يكذب فيه أبداً، وإني أخاف أن يجلب عليكم ذلك العذاب. ونجد شهادة من أبي جهل أيضاً، فعن عليّ أنّ أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نُكذّبك، ولكن نُكذّب بما جئت به (أي نكذب بدينك).

وفي رواية أن الأحنس بن شريق خلاً بأبي جهل يوم بدر، فقال له يا أبا الحكم، ليس هنا أحدٌ غيري وغيرك يسمعنا، فأخبرني بصدق: أتري أنّ محمداً يكذب أم يصدق؟ فقال أبو جهل: والله إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لصادق، وإنه ما كذب قط.

ويقول حضرة المصلح الموعود: ألم يعرف أعداء محمد رسول الله ﷺ رسولهم حتى رفضوه، بمعنى أنه لمن الغريب جداً أنهم عاشروا محمداً رسول الله ﷺ أربعين سنة وشاهدوا أخلاقه وسيرته، واعترفوا اعتراف شاهدين عيان أنه إنسان صادق للغاية، ولكن هذا الإنسان الصادق عندما أخبرهم أنه مبعوث من عند الله تعالى

لهدايتهم انبروا لمعارضته. لو أن شخصًا أجنبيًا قال ذلك لعدّ من المعدورين إذ يقال إنه لم ير محمدًا رسول الله ﷺ ولذلك ينسب إليه هذا الأمر، أي الافتراء على الله تعالى.

لكن سكان مكة الذين كانت حياة النبي ﷺ كلها أمامهم ككتاب مفتوح، كيف بدأوا يصفونه بأنه مفتر، كيف كان يسعهم وصفه بأنه كاذب، إذ كانت قلوبهم قد استيقنت بأنه صادق.

كم كان أبو جهل يعادي النبي ﷺ (وقد ذكرت له شهادة من قبل أيضا)، ولكنه هو الآخر قال له ﷺ في إحدى المرات: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به من التعليم. وهذا يعني أن قلب هذا العدو اللدود الخبيث الباطن أيضًا لم يجرؤ على أن يسمي النبي ﷺ كاذبًا. فكأنه عندما نسب الكذب إلى النبي ﷺ أنبه ضميره وارتعد قلبه لائمًا إياه: ما هذه الفعلة الشنيعة التي ترتكبها. ولكنه احتج وقال إني لا أكذب محمدًا، وإنما أكذب ما جاء به. والحق أن عذره هذا مصداق لقولهم: "العذر أقبح من الذنب". على أية حال، إن هذا يكشف لنا مدى الأثر الكبير الذي تركه صدقُ النبي ﷺ وسدادهُ على قلوب ألد أعدائه. وكان أمية بن خلف من أشد خصومه ﷺ، ولكنه لم يملك نفسه ذات مرة فقال "والله ما يكذب محمد إذا حدّث" (البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام). يقال: "إن السحر ما ينطق بنفسه". فترى كم كان سحر الأخلاق النبوية قويًا حيث جعل أعداءه أيضًا يُقرون بصدقه وورعه. (التفسير الكبير، سورة المؤمنون)

عن سيدنا عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي ﷺ المدينة أنجفل^٢ الناس قبلة وقيل: قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله، ثلاثًا فحمت في الناس لأنظر. فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام". (سنن ابن ماجه)

نجد شهادة يهود المدينة أيضًا، فقد كان هناك ميثاق بين المسلمين وبين قبيلة بني قريظة اليهودية على التعاون المتبادل. وحين جاء حيي بن أخطب سيد بني النضير إلى كعب بن أسد القرظي زعيم بني قريظة خلال معركة الأحزاب، وحاول أن يقنعه بأن ينقض العقد مع المسلمين ويساعد قريش ضدهم، لكي يصاب المسلمون بهزيمة، قال كعب بن أسد زعيم بني قريظة، وكان عدو المسلمين: لقد عقدت ميثاقًا مع محمد ﷺ ولن أنقضه، إذ لم أر منه إلا الوفاء والصدق.

وكذلك قد ورد في رواية عن عبيد بن عمير قال إنه سمع رجلا يقول لابن عمر ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول لا شك أني أمزح وأتمسك فيه أيضا بالصدق، فقال بلى.

وعن بخر بن حكيم عن أبيه عن جدّه قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ الْقَوْمَ ثُمَّ يَكْذِبُ لِيُضْحِكَهُمْ، وَيَيْلٌ لَهُ، وَيَيْلٌ لَهُ" (مسند أحمد). فقد نهى النبي ﷺ بشدة حتى عن أصغر كذب، وحدّر منه.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَهَتَّنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا. فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِأَصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: "اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ". (سنن أبي دواد)

فكان ﷺ ينصح بدقة ضد الكذب، فقد مر ذكر ذلك، وهناك رواية عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ دَعَّنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاعْدُ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ". قَالَتْ أُعْطِيهِ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ". (سنن أبي دواد)

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: كان معيار صدق رسول الله ﷺ شخصيا رفيعا جدا لدرجة قد سماه قومه بالصديق، وكان ينصح جماعته أيضا دوما بالتمسك بالصدق. أي لم يكن يتمسك بالصدق شخصيا فحسب، بل كان ينصح بذلك أمته أيضا، وكان يسعى ليقيمها على أرفع معايير الصدق المنزه عن كل شوائب الكذب، فكان يقول إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا. (صحيح مسلم)

مرة جاءه ﷺ أسيرًا كان قد تسبب في قتل الكثير من المسلمين، وكان سيدنا عمر ﷺ يرى أنه يجب قتله، وكان ينظر إلى وجهه ﷺ ليشير له فيقتله. فلما انصرف ذلك الرجل قال عمر ﷺ يا رسول الله هذا الرجل كان يجب قتله، فقال ﷺ له إذا كان قد وجب قتله فلم لم تقتله؟ فقال يا رسول الله لو أشرت بعينك، لفعلت ذلك. فقال: النبي لا يخدع. إذ كيف كان يمكن لي أن أتكلم معه بلساني بلطف وأشير بعيني لقتله، فهذا خداع وهو لا يتأتى مني أبدا.

كان ﷺ قد سجل أروع نماذج الصدق والسداد شخصيا حتى أقر بذلك الأعداء أيضا، ففي الوقت نفسه قد نصح أتباعه أيضا بالارتقاء إلى أرفع معايير الصدق.

فمن الواجب على كل أحمدي اليوم أن نفحص معايير تمسكنا بالصدق، وعلينا أن نزيل ضعفنا وتقصيراتنا، وفقنا الله لذلك.

بعد الصلاة سأصلي صلاة الغائب على المرحومة شاهدة أحمد. كانت زوجة السيد مرزا نسيم أحمد وتوفيت مؤخرا عن عمر يناهز إحدى وتسعين سنة. إنّا لله وإنّا إليه راجعون. كانت المرحومة موصية.

وهي حفيذة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وابنة السيد نواب عبد الله خان والسيدة أمة الحفيظ بيغم. وكان لها أربعة أبناء. كتب ابنها الأكبر السيد نعمان أنّ الجميع يقولون إنها كانت مُحَبَّبًا كثيرًا، وكانت تتمتع بحسن خلق عظيم في التعامل مع الناس. ثم ذكر عن حياتها المنزلية أنها كانت تتمنى دائمًا أن يكون

البيت عامراً بالناس، وكانت شغوفة بإكرام الضيوف، بل كانت تأسف لعدم قدرتها على توسيع منزلها ليكون فيه متسع دائماً للضيوف وغرف كافية لاستقبالهم.

وكذلك كتب ابنها الأصغر السيد رضوان أنها كانت صاحبة خصال حميدة كثيرة. فقد وردت رسائل من الناس، من الغني والفقير، ومن الصغير والكبير، بعد وفاتها، يذكرون فيها كيف كانت توزع محبتها على الجميع وتقيم علاقات شخصية معهم. وكانت عفوية بطبعها، محبة للناس، فكانت تستقر في قلوبهم بسهولة. وكانت تهتم بشكل خاص بمن يمرّون بطروف صعبة أو مصائب، وتقف دائماً إلى جانب الضعفاء. وكانت تُوصي أبناءها أيضاً بأن يقفوا مع الضعفاء دائماً. وكانت تتمتع بإرادة قوية وعزيمة كبيرة، وقد شهدت ذلك بنفسها، ما شاء الله.

وشقيقتها السيدة فوزية شميم التي كانت رئيسة لجنة إمام الله في لاهور ولا تزال كذلك ربما، تقول إنها إذا أرادت أن تصفها في كلمات قليلة فستقول: كانت صورةً للتضحية، والصبر، والشجاعة، والمحبة.

وتقول كنتها السيدة أمة الوكيل، إن صفة الضيافة كانت بارزة جداً فيها، وقد كتب بذلك أبناءها جميعاً، وذكره أيضاً كثير من الناس في رسائلهم إليّ، وكانت تستقبل الضيوف دون تكلف. وفي أواخر عمرها سقطت وأصيبت في وركها، فأصبحت تستخدم الكرسي المتحرك، لكنها تحمّلت مرضها بصبر وشكر، ولم تُبدِ أدنى شكوى. وكانت، كما يُقال كثيراً، مريضة شديدة الصبر، ولم تُتعبنا يوماً.

وتقول حفيدتها السيدة خديجة، إضافةً إلى ما ذكر عن كرم ضيافتها، إنها كانت امرأة محبة عطوفة، وخلال السنوات الأخيرة كانت تحتم تلاوة القرآن الكريم مرتين أو ثلاث مرات في الشهر. وكانت شديدة التعاطف مع الفقراء، وكانت تنصحنا دائماً بالدعاء لهم.

وتقول حفيدها أختها، السيدة هُي المقيمة هنا، إنها كانت تتحلى بالتفكير الإيجابي في كل الأحوال، وتُقدّر كل لحظة من حياتها، وكانت تعني كذلك بالعمّال في منزلها كما لو كانوا من أهلها. وقد لاحظتُ أنا أيضاً أنها كانت تتجنب عمومًا قول أي شيء سلبي عن الآخرين أو ما قد يجرح مشاعرهم، وكانت تراعي أحاسيس الناس كثيراً.

وتذكر أنه عندما كانت إحدى خادمتها تغادر المنزل بسبب زواجها، حزنت عليها كما يحزن الناس عند وداع بناتهم، إذ يشعرون أن البيت سيفقد البهجة. بعض الأحيان يكون للناس أعمالٌ صالحة لا يطلع عليها أحد عادةً، لكنها بعد ذلك تتبين لمن أحسن إليهم وكانت هي أيضاً من أولئك الأشخاص. نسأل الله تعالى أن يتغمدها بالمغفرة والرحمة.
